الأوضاع الاقتصادية في انكلترا في عهد هنري السابع١٤٨٥– ١٥٠٩

م٠د٠ابتسام سلمان سعيد
جامعة بغداد
كلية التربية للبنات/قسم التاريخ

المقدمة

عُدَ (هنري السابع)[١] Henry VII (١٤٨٥-١٥٠٩) مؤسس أسرة آل تيودور الذي حكم انكلترا لمدة (٢٤)عاما"،استطاع خلالها إحداث تغيرات كبيرة في الاقتصاد الانكليزي على الصعد كافة، وانتقلت البلاد لمرحلة من الاستقرار ،والأمن النسبي في عهده ٠

توضح هذه الدراسة مجمل الأوضاع الاقتصادية في انكلترا في عهد هنري السابع والدور الذي قامت به الحكومة الانكليزية من أجل حماية الأراضي الصالحة للزراعة والتقليل من اثر عملية التسييج التي شاعت في انكلترا بشكل كبير وأدت إلى خلو مناطق واسعة من سكانها في وقت كانت فيه البلاد لازالت تواجه اخطارا" داخلية وخارجية كما سعى هنري السابع إلى حماية الصناعة الوطنية من خلال تشريع جملة من القوانين التي تم تمريرها عبر البرلمان الانكليزي، وأولى اهتماما" كبيرا" ،لتطوير صناعة النسييج الصوفي ،وكان من جملة تشريعاته في الجانب الصناعي دعم النقابات المهنية، وحماية العمال، وتحديد ساعات العمل، وفي مجال التجارة الخارجية كان اهتمامه منصبا" إلى كسر طوق أحتكار الشركات الاجنبية ،ولاسيما في مجال الملاحة الخارجية ،الأسامر الذي أدى الى بروز طبقة برجوازية وطنية حملت على عاتقها إعادة بناء مملكة انكلترا اقتصاديا" وسياسيا"، ووضعتها على عتبة عصر النهضة ٠

أولاً- النشاط الاقتصادي:

مثّل الاقتصاد السائد في انكلترا قبل مجيء آل تيودور الاقتصاد التقليدي، القائم على وحدات إنتاج صغيرة تشمل القرى التي تعيش على ماتنتجهُ من محاصيل وما تربّيه من حيوانات، ثم تبيع الفائض عن الحاجة في الأسواق المحلية، أما الصناعة فلم تكن حالتها بأحسن من الزراعة، إذ كان الحرفيون في المدن يقومون بأعمالهم المعتمدة على الرجل الواحد في صناعة الأحذية والقبعات، والملابس فضلاً عن

الأدوات الأخرى التي تمثّل حاجات ضرورية للناس في المدن والأرياف على حدٍ سواء[٢].

وكان سكان المدينة والقرية يلتقون مرةً واحدة في الأسبوع لتبادل السلع في السوق، لذلك يمكن القول ان انكلترا كان لديها اكتفاء ذاتي، لكن بعد ذلك طرأت تغيرات كبيرة في الجانب الاقتصادي أدّت إلى تحولها إلى بلد صناعي وتجاري[٣].

- الزراعة:

تباينت الأقاليم الجغرافية في انكلترا من ناحية التكوين الطبيعي، مما أدى إلى تنوع الإنتاج الزراعي فيها، فيلاحظ أن إقليم الشمال يحتوي على مساحات واسعة من الغابات[٤] التي تُعد من أهم الموارد الطبيعية للبلاد، فإنتاجها من أشجار البلوط والبندق ذي الأغصان المقوسة كان ضرورياً لصناعة السفن والقوارب والأثاث والعربات والجسور، فضلاً عن فوائده في التدفئة وصهر معدن الحديد، وضمّ الإقليم مناطق رعوية واسعة، وانفردت فيه منطقة (ويلش) Willash – الواقعة بالقرب من الحدود الاسكتلندية– بإنتاج الحبوب[٥].

واتخذ إقليم الجنوب الشرقي طابع الأرض السهلية ونشط في زراعة الحبوب والمحاصيل الزراعية المختلفة لذلك كان من المناطق ذات الكثافة السكانية العالية، ودخل نظام المراعي الكبيرة إلى ذلك الإقليم، منها على سبيل المثال مراعي (كنت)Kent، و(اسكس) Essex و(هيرفوردشاير) Hereford، وشمل إقليم الجنوب الغربي مناطق واسعة للرعي المفتوح في (ديفون) Devon، و(كورنول)Cornwall ، لذلك اصبح الاستيطان فيه قليلاً[٦].

وجدَ الإقطاعيون وأصحاب الأراضي الكبيرة أن عملية رعي الأغنام، تدر عليهم أرباحاً كبيرة، لذلك فضّلوا أن يحولوا أراضيهم الزراعية إلى مراعٍ للأغنام لتصدير الصوف، وبذلك تحولت تلك الأراضي إلى حقول وتعطل كثير من المزارعين عن العمل، فقلّت الحاجة إلى الأيدي العاملة، لذلك ازدادت شكاوى السكان من عملية التسييج[٧]، فقد وصلت الأنباء إلى (ويستمنستر)Westminster من خلال تقرير رفعهُ

رئيس المجلس البلدي، في جزيرة (وايت) Wight– إحدى جزر القنال الإنكليزي الواقعة في جنوب انكلترا– أشار إلى المنازل والقرى في تلك الجزيرة قد سويت إلى الأرض وطوِّقت الحقول وحوِّلت إلى مراعٍ، وان المزارع التي قُسِّمت سابقاً بين رجال عدة، باتت الآن في يد رجل واحد، وأصبحت الجزيرة ذات الموقع الستراتيجي المهم لانكلترا خالية من السكان، من جانب آخر، لم تنجُ الغابات من عمليات القطع المستمر فتمّ تحويلها إلى مراعٍ(٨).

كانت لعملية التسييج آثار سلبية في الجانب الاجتماعي، وأصبح الملك يخشى أن تكون لها آثار في الجانب السياسي، وبشكل خاص بعد تكون جيوش من المشردين، إذ كانت الصناعة والتجارة في بداياتها، ولم تستطع استقطاب ذلك العدد المتنامي منهم، فبادر إلى اتخاذ إجراءات عدة لتقليص الأضرار الناجمة عن تلك الظاهرة(٩).

سنّ البرلمان الثالث في عهد هنري السابع قانون الأرض عام ١٤٩٠ منع بموجبه أي شخص من إيجار مزرعة بإيجار يزيد عن (٤٠) جنيهاً، وتلغى العقود التي لاتتوافق مع ذلك، وعلى مؤجري المنازل قبل ذلك التاريخ بثلاث سنوات، الاحتفاظ بها، لاسيما إن كانت مؤجرة مع عشرين فداناً أو أكثر، كما أوعز هنري السابع للمسّاحين التابعين للهيئة المالية بإجراء مسح شامل للأراضي البور في انكلترا، وأبرمت عقوداً جديدة لعدد من المستأجرين من أجل استثمارها كمراعٍ ومنعت تحويل الأراضي الصالحة للزراعة إلى مراعٍ(١٠).

حافظت انكلترا على ميزة الاكتفاء الذاتي، وخير دليل على وفرة إنتاجها من الحبوب، عدم صدور أي قانون يمنع تصدير الحبوب، باستثناء القانون الذي صدر عام ١٤٩١ حين كانت الحرب وشيكة الوقوع، وفي بعض السنوات حين كان الموسم الزراعي رديئاً، لكن بعد عام ١٥٠٤ أصبح تصدير الحبوب خاضعاً لقيود، ففي ذلك العام حين حصل قحط في الولايات البابوية في ايطاليا، بعث البابا رسائل عدة لإقناع هنري السابع من أجل الحصول على موافقته بالسماح لتصدير الذرة إلى تلك الولايات

وتـم تكـرار الطلـب فـي العـام التـالي، وأخيـراً تـم تزويـد الولايـات البابويـة بالكميـة المطلوبة[١١]، وأعادَ البرلمان المنعقد في العام نفسه القانون القديم الذي صدر في عام ١٤٢٣ القاضي بمنع تصدير الماشية إلاّ برخصة من الملك وألغت حق الملك في منح رخصة التصدير لمن يشاء[١٢].

– الصناعة:

تعـددت المعـادن فـي انكلتـرا ومنهـا القصـدير، والحديـد، والرصـاص وكانـت تسـتخرج مـن مقاطعـات (يـورك)York، و(لانكسـتر)Lancaster ، و(سـتافورد)Stafford، و(ارويـك)Erwike، كمـا كانـت توجـد فيهـا مقـالع للحجـر، والرخام، والازدوار[١٣] ، ومقالع المرمر في لنكولنشاير وديربي وأخيراً وجدَ منجم للفضة في ويلز، وكان ملوك انكلترا يولونهُ أهمية خاصة لما يدرّهُ على خزينة المملكة من أموال، وفي عهد هنري السابع منحت شركة (متل ستابل) Metal Staple امتيازاً في التنقيب عن المعادن واستخراجها ومنها معدن الفضة[١٤].

كان العمال ينقسمون إلى ثلاثة أصناف وهم الصبيان ويقضون مدة سبع سنوات في التدريب على مهنة معينة، والصنّاع الذين حصلوا على رخصة بممارسة الحرفة ولهم أجور ثابتة وامتيازات معلومة من النقابات المهنية، والأستاذ (الأسطى) الذي يدير العمل من خلال ورش كبيرة في السوق المحلية أو صغيرة في منزله وعادةً يتم تصريف البضائع من خلال نافذة في تلك المنازل[١٥].

احتل الصوف بوصفه مادة أولية المرتبة الأولى في الصادرات الانكليزية، منذ القرن الثاني عشر، ولقي رواجاً في إقليم الفلاندرز وشمال إيطاليا، اللتين تمثلان الورش الصناعية في العصور الوسطى، وفي عام ١٣٣١ دعا ادوارد الثالث نسّاجي الصوف الفلمنكيين للإقامة في انكلترا، بعد فشل ثورتهم ضد المجالس البلدية في مدينتهم، فكان لهم دور في تطوير صناعة الصوف التي تركزت في ضاحية (نورويتش) Norwich التابعة لمقاطعة (نورفولك)Norfolk، فاحتكرت تلك المقاطعة الصناعة الصوفية وفرضت شروطاً قاسية على المتدربين على تلك الصناعة، منها أن

يدفع الصبي جنيهاً واحداً سنوياً مقابل تعليمه سر المهنة، فانحصرت تلك المهنة في أبناء الأسر الغنية من تلك المقاطعة، والشرط الثاني حدد المدة التي يقضيها الصبي في تعلم المهنة بسبع سنوات وبعدها يحصل على رخصة التمهن، لذلك بقيت صناعة الأنسجة الصوفية بدائية ومحدودة في انكلترا، وغير كافية لسد الطلب المحلي(١٦).

احتكرت الشركات الأجنبية عملية تصدير الصوف وكانت تبرم عقوداً لشراء صوف غير نام ولعدة سنوات قادمة، وكان من حق المنتج استلام جزء من المال كعربون، ولطالما أصدرت المملكة قوانين عدة منعت بموجبها تصدير الصوف كمادة أولية، لكن ثبُت فشل تنفيذها، فقد جاءت الخطوة الأولى في تطوير تلك الصناعة بإعلان قانون خاص بالصناعة عام ١٤٨٧ الذي نصَّ على "**تحويل الصوف إلى نسيج صوفي**" وأوعز إلى الجزّازين (القصاصين) أن يقوموا بقص النسيج في انكلترا(١٧).

بدأ الاهتمام بعملية (تشطيب) النسيج داخل انكلترا، وأصبح لكل مرحلة من نسجه عمال متخصصون وهم الجزّازون و الغزالون، والحائكون، والقصّارون، والصبّاغون، وفي النهاية كان النسيج يختم بعلامة صغيرة مصنوعة من الرصاص تبين نوع النسيج واسم دولة المنشأ(١٨).

استفاد عمال النسيج الصوفي من ذلك القانون، وقد صدر قانون آخر عام ١٤٩٠ منحهم حق شراء الصوف من بداية موسم الجز الذي يبدأ في الخامس عشر من آب لغاية الثاني من شباط ولايسمح للتجار الأجانب بشراء الصوف خلال تلك المدة لكي لايبقى منهُ إلا ما نبذهُ النسّاجون الانكليز(١٩).

فرض هنري السابع عام ١٤٩٥ على نقابة صنّاع الملابس في نورفولك إلغاء الشرط الذي يجبر الصبيان على دفع رسم التمهن، وبذلك ازداد عددهم، فاستقطبت تلك الصناعة المزارعين المسرحين، لكنهُ أبقى الشرط الآخر، لكثرة الشكاوى من التجار الأجانب الذين ذكروا أن النسيج يتلف في أثناء جزه بسبب قلة خبرة الجزّازين الانكليز، الذين بدأوا يميلون إلى سفح النسيج (حرق أطرافه) بدلاً من قصّه(٢٠).

وافق البرلمان عام ١٤٩٥ على رفع معدل الأجور للعمال، وحدّد ساعات العمل ب(١٢) ساعة وكان الهدف من ذلك وضع العمال تحت نظام صارم، ومكافحة التسول والتشرد، وقد بقي القانون نافذاً لمدة سنتين، ففي عام ١٤٩٧ شرع البرلمان قانوناً آخر للعمال، ألغى بموجبه الفقرة الخاصة بالأجور، وأبقى التشريعات الخاصة بالعمل وساعات العمل الإلزامية نافذة[٢١].

ساعد انفتاح انكلترا على الأسواق الأوربية على النهوض بصناعة الملابس الصوفية، فجلب التجار الإيطاليون المواد الأولية منها (الشب، والأصباغ المتنوعة، والصابون المهم لعملية قصر الصوف، والأنوال، والمشدات الطويلة التي ينسج عليها الصوف التي تحول طولها من أمتار معدودة إلى عشرات الأمتار) ومقابل ذلك منح هنري السابع التجار الفينيسيين امتيازات كبيرة، فحظي أولئك بحق شراء الصوف الانكليزي في أي وقت من بدء موسم جزّ الصوف أسوةً بالتجار الانكليز[٢٢].

نستنتج مما سبق، أن هنري السابع كان أول ملوك انكلترا المحدثين، ففي عهده تطورت الصناعة في انكلترا مع احتفاظ الزراعة بمركز الصدارة إذ مثلت عصب الحياة الاقتصادية فيها.

<u>– التجارة الخارجية:</u>

تعددت الشركات التجارية ذات (التخويل الرسمي)[٢٣]charteredفي انكلترا، وكان من أبرزها شركة ستابلرز (تجار الصوف) Staplers، وميرتشنت ادفنتشررز (التجار المغامرون) Merchant Adventurers[٢٤].

<u>أ– شركة ستابلرز:</u>

تأسست شركة ستابلرز في انكلترا سنة ١٣٠٣م ، وجمعت تجار الصوف في انكلترا تحت لوائها، وكان لديها سوق تجاري كبير في كاليه، وقد قررَ البرلمان عام ١٤٨٧ "**ان عوائد الرسم المفروض على الصوف والجلود يجب أن تُسلَّم إلى شركة تجار الصوف**" ، ومن تلك العوائد تقدم الشركة مبلغاً سنوياً يبلغ (١٠٠٠) جنيه استرليني لحامية كاليه والجبهات الحدودية، إلى جانب ذلك، عليهم دفع رواتب موظفي

الكمارك في لندن، وبقي ذلك القانون نافذاً على مدى (١٦) عاماً، وفي ذلك البرلمان أيضاً حدد مقر الشركة بشكل نهائي، فتقرر بوضوح أن مقر الشركة يجب أن لايُنقل من كاليه[٢٥].

كان العمل الأساسي للشركة تصدير بعض المواد الخام للدول الأوربية منها الجلود المدبوغة، والرصاص، والقصدير، وتاجر بعض أعضاء الشركة بمادة الأنسجة الصوفية، فولّد ذلك خلافاً شديداً مع شركة التجار المغامرين، فرفعت الأخيرة دعوى قانونية أمام المحكمة الانكليزية في تشرين الثاني ١٥٠٤، فقررت المحكمة "**أن أي عضو في أية شركة يأخذ تجارة شركة أخرى، يصبح خاضعاً لأنظمة الشركة الثانية**"[٢٦].

طالبت شركة التجار المغامرين من تجار الصوف الذين بدأوا بالمتاجرة بالنسيج الصوفي بدفع رسم مقداره (١٠) جنيهات لها، وبتخلفهم عن الدفع تصادر السلع، ولم تكن لدى هنري السابع رغبة بالتضحية بشركة تجار الصوف، فقرر في الخامس والعشرين من حزيران ١٥٠٥، عدم وضع أي ضغط على التجار لدخول شركة التجار المغامرين، وعدم فرض رسوم إضافية على التجار[٢٧].

ب- شركة التجار المغامرين:

شركة مساهمة سعى المجلس البلدي لمدينة لندن إلى اعادة تنظيمها في عام ١٤٣٧، وطلب منها الملك هنري السادس تقديم القانون الداخلي لها، وأصبحت تضمّ تجار لندن فقط، وحصلت في عام ١٤٥٠ على رخصة تأسيس فرع خارجي لها في مدينة انتويرب الهولندية، فضلاً عن نهوضها بالأسواق المحلية، وكان لها الفضل في تنشيط التجارة على محور لندن-(انتويرب)Intwerp، بعد تردي الأوضاع في المحور القديم (بلايموث)Plymouth- (كاليه)Calais، بسبب حرب المئة عام وحروب الوردتين(١٤٥٥-١٤٨٥)، الأمر الذي أدى إلى استفحال خطر القرصنة على السواحل الانكليزية الجنوبية والقنال الانكليزي، إذ أصبحت الشركات الأجنبية الإيطالية منها بشكل خاص تدفع مبالغ طائلة كتأمينات وضمان للسفن المتجهة إلى انكلترا[٢٨].

حدث انشقاق بين أعضاء شركة التجار المغامرين، بعدما فرضت إدارة الشركة رسماً قدره (٢٠) جنيهاً على كل تاجر انكليزي يعمل في سوق انتويرب، لغرض تسديد نفقات الإدارة المتزايدة، الأمر الذي جعل مجموعة كبيرة من التجار ينسحبون من الشركة، وقدموا شكوى أمام برلمان عام ١٤٩٧ مشيرين إلى جشع التجار الأغنياء المسيطرين على إدارة الشركة، والضرر الذي سيلحق بعملية تصدير الملابس الصوفية الانكليزية، والارتفاع الذي سينشأ في سعر البضائع المستوردة[٢٩].

أعلن هنري السابع أمام البرلمان الانكليزي أن التجارة في سوق انتويرب حرّة، ورفض أن تتحول الشركة إلى نقابة ضيقة ومحصورة بفئة معينة من التجار، ومنع فرض أية رسوم إضافية على التجار الانكليز لصالح الشركة، وفي حال مخالفة ذلك، فعلى الشركة دفع عشرة أضعاف مبلغ الرسم إلى التجار المتضررين[٣٠].

حدثت في الوقت نفسه، منافسة شديدة بين شركة التجار المغامرين وتجار التجزئة الأجانب الذين حصلوا على امتيازات من الملك بالتجوال في مقاطعة لندن وبقية المقاطعات، وفي الحادي والعشرين من آيار ١٤٩٨ تم حسم الخلاف بين الجانبين، بعد قيام شركة التجار المغامرين بدفع مبلغ (٥٠٠٠) جنيه للخزانة الملكية مقابل تأكيد الامتيازات التي حصلت عليها سابقاً، وبذلك مُنع التجار الأجانب من التجوال في انكلترا إلا من خلال وسيط انكليزي[٣١].

في الوقت الذي رفض فيه هنري السابع سياسة الشركة الاحتكارية، إلا انه كان مستعداً لتقوية المكانة التي حصلت عليها، ففي آذار ١٤٩٩ منح الشركة رخصة في اتخاذ الأسلحة الخاصة بها، وشجّع الشركة على انتخاب إدارة مركزية عام ١٥٠٥ أفضت إلى انتخاب حاكم وأربعة وعشرين مساعداً، انتخبوا من مختلف النقابات لإدارة وتوجيه الشؤون الداخلية للنقابة، وسُمح لهم بمعاقبة المخالفين لقوانينهم من أعضاء الشركة، وصدر في الرابع والعشرين من كانون الثاني ١٥٠٦ مرسوم تكميلي منح إدارة الشركة حق استدعاء جميع أعضائها إلى كونغرس (اجتماع) في لندن أو أي مكان آخر، ووعدهم الملك بدعمهم في كل المناسبات والظروف[٣٢].

ثانياً– قانون الملاحة الأول وعملية بناء السفن:

حصلت (العصبة الهانسية)[٣٣] على امتياز (احتكار) نقل البضائع الانكليزية منذ عام ١٣٨١، وكانت تدفع رسوماً أقل مما يدفعهُ الناقلون المحليون في انكلترا، لذلك سعى هنري السابع إلى تشجيع الشحن بالسفن الانكليزية كوسيلة لدعم التجارة، فاقترح قانون الملاحة في برلمانه الأول، الذي أصدر قانوناً جعل بموجبه تجارة النبيذ الهولندي محصورة تحديداً بالسفن الانكليزية، وان طواقم تلك السفن يجب أن تكون في الجزء الأكبر منها مكونة من بحارة انكليز[٣٤].

شرع هنري السابع بتشجيع ملاّك السفن ببناء سفن جديدة، وبدأ بمنحهم هبات سخية مقابل بناء سفن ذات مواصفات عالية، وكان يعطي ثلاثة بنسات عن زيادة طن واحد في حمولة السفن، وغالباً ما كان التاج يسعى لاستئجار تلك السفن في حالات الطوارئ[٣٥].

ورث هنري السابع من ريتشارد الثالث أسطولاً ملكياً مؤلفاً من ثلاث سفن فقط، لكنه استطاع أن يزيد ذلك العدد إلى ثمانية سفن ملكية، وعلى الرغم من قلة عددها، فإن مدى التطور النوعي الذي حققه على السفن الدائرية التي كانت موجودة في العصور الوسطى، كان عالياً، فالسفن الجديدة أصبحت قادرة على الإبحار في المحيطات وذات ثلاث أو أربع صواري ومسلحة تسليحاً جيداً بحسب مقاييس ذلك العصر، فالسفينة (ريجنت) Regent على وجه الخصوص مثلاً كانت تمثّل تطوراً ملحوظاً في تصميم السفن، وان استيعابها لـ(١٨٠) مقاتلاً وضعتها في مرتبة الأم بالنسبة للسفن الحربية، تلتها سفينة (سوفَرين) Sovereign و(ماري اوف بورتسموث) Mary of Portsmouth و(سوان) Swon.[٣٦]

تبع الاهتمام بزيادة عدد السفن، بناء أول حوض للسفن سجلهُ تاريخ انكلترا فقد تم بناء حوض من الخشب في عام ١٤٩٦ في بورتسموث فأصبحت أول قاعدة بحرية متقدمة للمملكة، وبلغت كلفة الحوض حوالي (١٩٠٠٠٠) جنيه استرليني، وأشرف على بنائه مصمم السفن (روبرت بريجاندين) Robert Brigandine.[٣٧]

طبقاً للتطورات التي حدثت في مجال بناء السفن، أعاد هنري السابع مناقشة القانون الملاحي الأول عام ١٤٩٧، واشترط شحن البضائع الانكليزية بسفن محلية وطواقم بحارة محليين وحدد نسبتهم بما يزيد عن (٥٠%)، وعزّز ذلك القانون بخطوة أخرى شجاعة تمثّلت بإنهاء احتكار العصبة الهانسية للشحن البحري، وسحب جميع الرخص التي يحملها التجار الهانسيون، وجاء في ذلك القانون "**عدم قيام أي من الرجال المخلصين للملك من الآن فصاعداً بشحن أية بضاعة تخرج من مملكة انكلترا أو تدخل إليها ومن أي ميناء إلا في السفن التابعة للملك**"[٣٨]، جرى تطبيق ذلك القانون بشكل صارم، وصادرَ الملك شحنات السفن المخالفة وقسّمت بالمناصفة بين التاج والشخص المخبر عنها[٣٩].

ثالثاً– رحلة جون كابوت John Cabot وابنه سباستيان كابوت Sebastian Cabot:

اتجهت انكلترا نحو ميدان الكشوف الجغرافية في العقد الأخير من القرن الخامس عشر، إذ استطاع البحّار الإيطالي جون كابوت[٤٠]، إقناع الملك هنري السابع بتمويل رحلته لاكتشاف طريق بحري إلى آسيا عبر المحيط الأطلسي، فحصل على براءة اختراع من الملك في الخامس من آيار ١٤٩٦، وتعهد الملك بتغطية نفقات رحلته، بالمقابل، وافق كابوت على منح الملك خُمس ما يتحقق من أرباح من كل ما يكتشفه[٤١].

أبحر كابوت من برستول في آيار ١٤٩٧ وتوجه غرباً في سفينة صغيرة مع طاقم مكون من (١٨) بحّاراً، وشاهد اليابسة في الرابع والعشرين من حزيران من العام نفسه، فقد وصل كابوت إلى جزيرة نيوفاوندلاند – الواقعة في كندا – واستولى على الأرض لصالح انكلترا، وبعد عودته أعلن كابوت انه قد وصل إلى آسيا، وأطلق عليه هنري السابع لقب الأدميرال العظيم، وأعطاه جائزة ومنحه معاشاً تقاعدياً سنوياً[٤٢].

أعلنت اسبانيا[٤٣] أن الأراضي التي اكتشفها جون كابوت هي ملك شرعي لملك وملكة اسبانيا، وقدّم سفيرها في لندن احتجاجاً إلى الملك هنري السابع، الذي

أعلن ان الاكتشاف السابق شيء والتملك الحقيقي شيء آخر، وجاء في كتابه "أن تكتشف هو أن تتملك وبشكل فعلي... فالبرتغاليون والاسبان لم تكن لديهم أية حاميات عسكرية هناك"، على الرغم من ذلك، كان الملك هنري السابع رجلاً حكيماً فهو لم يكن ينوي الصدام مع الاسبان الذين كانت لديهم قوة بحرية كبيرة، وذلك ما وضحه في الرخصة التي منحها للرحالة كابوت، إذ ورد فيها :"**ان هنري ملك انكلترا وفرنسا وسيد آيرلندا، يعطي ويفضل من الإله... حبيبنا جون كابوت... سلطة ورخصة وتفويض كامل للإبحار إلى جميع أجزاء وبلدان وبحار الشرق والغرب والشمال وبلدان ومناطق وأقاليم الوثنيين والكفار بغض النظر عمن يكونوا، وبغض النظر عن الجزء الذي يكونون فيه من العالم والذي لم يكن لحد ذلك الوقت معروفاً بالنسبة لجميع المسيحيين**"(٤٤).

لم يحصل كابوت على التفويض بالإبحار جنوباً، الاتجاه الذي قد يؤدي إلى الاصطدام بممتلكات اسبانيا أو البرتغال ولا التفويض بالمطالبة بأي مكان معروف سابقاً بالنسبة للمسيحيين، لذلك فإن هنري أهمل الاحتجاج الاسباني ولكنه امتنع عن الصدام معها، فأرسل جون كابوت في رحلة ثانية عام ١٤٩٨، وقد تحمل الملك جزءاً من نفقاتها وشاركهُ عدد من تجار برستول، ونجح كابوت في اكتشاف جزء من الساحل الشرقي لما يسمى الآن الولايات المتحدة الأمريكية، وعاد إلى انكلترا في عام ١٤٩٩(٤٥).

سار سباستيان (١٤٧٢-١٥٥٧) على خطى أبيه في الكشوف الجغرافية، وأبحر عام ١٥٠٨ على رأس سفينتين انكليزيتين، وسلك مساراً شمالياً غربياً أي الطريق إلى آسيا عبر المحيط القطبي الشمالي، وقد وصل إلى مدخل خليج هدسون- الواقع في كندا- لكن بحارته رفضوا الاستمرار في الإبحار غرباً وأبحر كابوت جنوباً على امتداد شاطئ أمريكا الشرقي وعاد إلى انكلترا(٤٦).

كانت انكلترا الدولة الثانية بعد اسبانيا في تجربة الطريق الغربي للوصول إلى الشرق، وكانت لها انجازات كبيرة في اكتشاف العالم الجديد.

رابعاً– الانجازات العمرانية في إنكلترا في عهد هنري السابع:

بدأ هنري السابع بوضع خطة لبناء كنيسة صغيرة في مقر الحكومة الإنكليزية في ويستمنستر، ويُعزى إلى المستشار (ريجنالدبري) Reginald[٤٧] (١٤٤٠–١٥٠٣)وضع التصميم الهندسي لتلك الكنيسة، التي باشر ببنائها منذ عام ١٤٩٤، إذ حصل هنري السابع على موافقة البابوية في روما بتخصيص عوائد ديرين من ابرشيات (ونشستر) Winchester ولنكولن لذلك الغرض، وخصصت رتب كنسية أخرى ذات دخل ثابت لبناء مستشفى ملحق بالكنيسة، ومن جانب آخر، حصل هنري السابع على موافقة البابوية ببناء قبر له في تلك الكنيسة، وتعد كنيسة ويستمنستر من أجمل المباني الكنسية في لندن[٤٨].

قرر الملك هنري السابع بناء ثلاث مدارس حديثة في(نيوكاسل)Newcastle– مقاطعة في شمال انكلترا– و(ساوثمبتون)Southmpton في جنوبها، و(نيوارك) Newark في الشمال أيضاً، وبنى مستشفى أطلق عليها تسمية (سافوي) Savoy بالقرب من ميدان تشيرنغ Cross Charing في لندن[٤٩]، وخصص لتقديم المأوى لمئة من الفقراء والعاجزين، وبنى الملك هنري السابع على نفقته الخاصة مستشفى كبير في باث Bath في ويلز على غرار نموذج مستشفى باريس[٥٠].

شاطر الملك هنري السابع مستشاره الكاردينال جون مورتن في الاهتمام بالجانب العمراني، فقد بنى سلسلة من الصروح العمرانية من أهمها قصر رئيس الأساقفة في كانتربري، فضلاً عن ذلك، فقد كانت الأميرة(مارغريت بيوفورت)Margaret Beaufort (١٤٤٣–١٥٠٣) والدة هنري السابع راعية لنظام التعليم الحديث، فقامت بتأسيس كليتي لنكولن وونشستر في جامعة اكسفورد[٥١] وكلية جديدة سميت (كرايست كولج) Christ College عام ١٥٠٣ في كامبردج[٥٢] وكلية (القديس جون) St.John في الجامعة نفسها، بالتعاون مع المستشار جون الوك أسقف ايلي[٥٣] .

الخاتمة

كان تطور صناعة الصوف في انكلترا على حساب قطاع الزراعة فيها ، فعلى الرغم مما بذلته الحكومة الانكليزية من اجل تقليص عملية التسييج وحماية الاراضي الصالحة للزراعة على سبيل المثال لا الحصر تشريع قانون الارض عام ١٤٩٢م واجراء تعديلات عدة على ذلك القانون في السنوات اللاحقة ،لكنها كانت عاجزة عن متابعة المستثمرين في ذلك الجانب ،فوقع عبأ ذلك على الطبقة الفقيرة من صغار العمال والمزارعين، وبعد مرور سنوات عدة أستقطبت الصناعة جزء من اولئك العاطلين ،فقد لجأ المستثمرين الى تأسيس مصانع صغيرة في القرى الارياف للتخلص من نفوذ النقابات الصناعية في لندن والمقاطعات الاخرى ،وشهدت التجارة نشاطا" ملحوظا"بعد قيام هنري السابع بتقليص أمتيازات العصبة ألهانسية ،و بالمقابل حصلت الشركات الانكليزية على أمتيازات للعمل في بلدان أوربية عدة ،فنشطت التجارة بشكل كبير ، وتحولت اعداد كبيرة من العاطلين الى العمل في صناعة السفن ، وقدعززت الحكومة الانكليزية ذلك القطاع وقامت بحماية الموانى الانكليزية ،وعقدت سلسلة من المعاهدات التجارية للتخلص من عمليات القرصنة في القنال الانكليزي والمناطق الساحلية ٠

ABSTRACT

The Era of Henry VII is the king who established the Tudor as they ruled England for (24) years .He made drasfic changes in British Economy and the state of the country was stable and secure**.**

The present study sheds light on the economic condition of England during the Era of Henry VII.The role the government played so as to protect the lands that are good for agricultural and minimizing the effect of fensing which dominated England as alot of lands were empty.At that time the country faced internal and external dangers King Henry VII protected the national indostry by establishing laws furthermore, we developed the manufacturing of the wool textures.He backed the workers and limited the hours of work. As for the external trade ,he was against the control of foreign companies especially the commercial exchange of good by the sea consequently a national bourgeois built England economically and politically and the latter put England at the threshold of renaissance.

الهوامش :

١-هنري السابع : ملك انكلترا ،ولد في الثامن والعشرين من كانون الثاني ١٤٥٧، تولى حكم انكلترا في الثاني والعشرين من آب ١٤٨٥م حتى وفاته في الحادي والعشرين من نيسان ١٥٠٩م ،والده (إدموند تيودور) Edmund Tudor (أيرل ريجموند)Earl Of Richmond ووالدته(مارغريت بيوفورت) Margaret Beaufort تزوج من(اليزابيث يورك) Elizabeth Of York ابنة(إدورد الرابع)Edard IV في الثامن عشر من كانون الثاني ١٤٨٦ ،وانجبت له سبعة اطفال عاش منهم اربعة اطفال فقط. ينظر:

Robert P. Gwinn and Other, The New Encyclopedia Britannica, 15th Edition, London, 1985, Vol.5, P.839.

(2) F. Dietz, English Public Finance (1485-1558), London, 1920, P.30.

(3 Conrad Russell, The Crisis of Parliaments, English History 1509-1660, Oxford University Press, Great Britain, 1971, P.49..

(٤) الغابات: كانت تغطي مساحة ٢٠% من إجمالي مساحة انكلترا، أشهرها (دين، ويلد، واينبغ، وآردن) وكانت تلك الغابات ملاذاً للحيوانات البرية، منها الذئاب، والأيائل، والخنازير البرية، والغزال الأحمر). ينظر: J.D. Mackie, The Earlier Tudors 1485-1558, from The Oxford History of England, Edited by Sir George Clark, 6th ed., Clarendon Press, Great Britain, Vol.VII, N.D, P,38.

(5) R.B. Smith, Land and Politics in the England of Henry VII and Henry VIII, Oxford, Clarendon Press, 1970, P.10.

(6) Ibid.

(7) Wilhem Busch, England Under the Tudors, King Henry VII (1485-1547), London, 1895, P.260 .

(8) R.S. Schofield, Parliamentary Lay Taxation (1485-1547), Cambridge, 1963,P.54.

(9) Wilhem Busch, Op.Cit, P.260.

(10) J. R. Lander, Government and Community in England 1450-1509, Cambridge University Press, 1980, PP.363-365.

(11) Ibid.

١٢ – أساء (ادوارد الرابع)((١٤٤٢-١٤٨٣)استعمال تلك الرخصة، حين سمح لأخته دوقة برغنديا (مارغريت يورك) ، باستيراد ألف ثور وألف كبش سنوياً، الأمر الذي جعل البرغنديين يهجنون الأغنام الانكليزية بأخرى اسبانية وحصلوا على صنف مُحسّن، فاستطاعوا منافسة الأصواف الانكليزية المعروفة بنعومتها وكثافتها، وبموجب ذلك القانون سُحبت الرخصة الممنوحة لمارغريت ٠ ينظر:

Wilhem Busch, Op.Cit, P.260.

١٣-صخردقيق الحبيبات٠ ينظر:

A.L. Rows, Tudor Cornwall, 6th ed., Cape, London, p.54.

(14) Mackie , Op.Cit , P38.

(15) C.G.A. Clay, Economic Expansion and Social Change England (1500-1700), Cambridge University Press, 1984, P.54.

(16) George Burton Adames, Constitutional History of England, London, 1948, P.72. .

(17) A.L. Rowse, Op.Cit, P.55.

(18) C.G.A. Clay, Op.Cit, P.54.

(19) Wilhem Busch, Op.Cit, P.266.

(20) A.L. Rowse, Op.Cit, P.55.

(21) Ibid.

(22)ibid.

(٢٣) هي اتحادات للعمل في المناطق البعيدة ،وأول من استخدمها التجار الايطاليون مع شمال افريقيا في القرن الثاني عشر ،ثم انتقلت متأخرة الى اوربا الغربية ،اذ امتد النشاط التجاري الى الاراضي المنخفضة والمانيا ،ثم دخل الانكليز في المنافسة وشكلوا نوعا" من الشركات ذات التخويل الرسمي مطلع القرن السادس عشر ،وحصلت تلك الشركات على مرسوم من التاج يخولها العمل في مناطق معينة ،وبعد فشل تجربة اسبانيا والبرتغال تبنت انكلترا وهولندا وفرنسا فيما بعد تطوير ذلك النوع من الشركات باشراف حكومي اقل صرامة من السيطرة المباشرة ،واثبتت الشركة ذات التخويل الرسمي تفوقها وحققت في كل من انكلترا وهولندا مكانة فريدة في تجارة ماوراء البحار ،ينظر:محمود عبد الواحد محمود القيسي ،النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند ١٦٠٠ –١٦٦٨ رسالة ماجستير(غير منشورة) ،كلية الاداب ،جامعة بغداد،،١٩٩٣،ص٢٢

(24) R.S. Schofield, Op.Cit, P.54.

(25) George Warner, The New Ground Work of British History, Blackie and Son Limited, London, 1967, P.33.

(26) C.G.A. Clay, Op.Cit, P.55.

(27) S.T. Bindoff, Tudor England, 9th ed., London, Queen Mary College, 1963, P.17.

(28) Ibid, P.19.

(29) F. W. Matland, The Constitutional History of England, Oxford, 1908, P.199.

(30)Ibid.

(31) Ibid.

(32) C.G.A. Clay, Op.Cit, P.57.

(٣٣) العصبة الهانسية: تكونت من ائتلاف تجار شمال ألمانيا الذين نشطوا في تجارة البلطيق، وتجار (كولون) Cologne الذين تزعموا تجارة الأراضي المنخفضة وانكلترا، وأصبحت تجارة العصبة مزدهرة بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر، فهيمنت على تجارة أوربا، لكنها انحلت في أوائل القرن السادس عشر لأسباب تتعلق بظهور دول تجارية جديدة كالانكليز والهولنديين وكذلك بسبب انحلال المدن الألمانية، ينظر:

Joachim Whaley, Germany and the Holy Roman Empire: Maximilian I to the Peace of Westphalia 1490–1648, Oxford, Oxford University Press, 2012, .37.

(34) R.S. Schofield, Op.Cit, P.66.

(35) H. A. L. Fisher, The History of England from the Accession of Henry VII to the death of Henry VIII (1485–1547), New York, 1910, P.24.

(36) D.A. Sturkeg, Revisions in the History of Tudor Government and Administration, Oxford, 1986, P.48.

(37) Ibid.

(38) Ibid.

(39) Ibid.

(٤٠) جون كابوت: ملاح ومكتشف إيطالي، وُلد كابوت في جنوة بإيطاليا، في عام ١٤٥٠، وكان اسمه بالإيطالية (جيوفاني كابوتو) Giovanni Cabotto، نشأ في مدينة البندقية، وأصبح تاجراً ومصمم خرائط، وكان مولعاً بالكشوف الجغرافية، وأبحر في البحر الأبيض المتوسط مابين البندقية ومصر، يقايض بالبضائع الإيطالية البهارات من الشرق الأقصى، انتقل إلى بريستول بانكلترا عام ١٤٨٤،

توفي عام ١٤٩٩. ينظر: عبد العزيز الشناوي، أوربا في مطلع العصور الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧٧، جـ١، ص١٤٤-١٤٦.

(٤١) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(٤٢) أشرف صالح محمد سيد، أصول التاريخ الأوربي الحديث، الكويت، ٢٠٠٩، ص٩١. (٤٣) ظهرت اسبانيا الموحدة سياسياً لأول مرة عام ١٤٦٩ بعد زواج فرديناند ولي عهد مملكة ارغون من إيزابيلا ملكة قشتالة، ثم استولى المسيحيون عام ١٤٩٢ على مملكة غرناطة آخر معقل للمسلمين في جنوب شبه الجزيرة الايبيرية، وبهاتين الحادثتين اكتملت وحدة الدولة الاسبانية، وبدأت أهمية اسبانيا كدولة أوربية كبرى، ينظر:

"Encyclopedia Britannica", Vol.9, P.178.

(44) Simon Adams, England under the Tudors, Historical Journal, Cambridge, Vol.33, 1990, PP.677-681.

(45) Ibid.

(46)Ibid.

(٤٧) ريجنالد بري: سياسي ومهندس معماري، ولد في (ورسستر) Worcester عام ١٤٤٠، وهو الابن الثاني للسير ريجنالد بري، تلقى تعليمه في مدرسة النحو الملكية Royal Grammar School في ورسستر، عمل خادماً في بداية حياته لدى الأميرة مارغريت بيوفورت، وحظي بثقتها، لذا فقد اعتمدت عليه بشكل كبير في إرسال الرسائل والأموال إلى ولدها هنري تيودور في المنفى، اختاره هنري السابع فيما بعد أميناً للخزينة العامة ومستشاراً لدوقية لانكستر، وعمل على تأسيس الهيئة التشريعية، حصل على منصب رئيس جامعة اوكسفورد في عام ١٤٩٦، من انجازاته المعمارية تصميم كنيسة صغيرة للقديس جورج في قلعة وندسور التي أصبحت من الصروح الشاخصة في انكلترا، كذلك أدى دوراً أساسياً في بناء كلية

عيسى (ع) في جامعة كمبردج، توفي في الرابع والعشرين من حزيران ١٥٠٣. ينظر:

J. Hans Hillerand, The Dictionary of National Biography, 4th ed., Oxford University Press, 1917,Vol. II, P.301-320..

(٤٧) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: فؤاد أندراوس، بيروت، دار الجيل، د.ت، جـ٦، مجـ٦، ص٩٥.

(48) Simon Adams, Op.Cit, P.681.

(49) Ibid.

(50)Ibid.

(٥١) جامعة أكسفورد: وهي من أقدم الجامعات الانكليزية وأشهرها، أُنشئت حوالي عام ١١٦٧م في مدينة أكسفورد الواقعة في الجزء الجنوبي الشرقي من انكلترا، وتقع على نهر التيمز Thames، على بعد (٥٤) ميلاً حوالي (٨٧) كم إلى الشمال الغربي من لندن، ينظر:

"The New Encyclopedia Britannica", Vol.9, P.28.

(٥٢) جامعة كمبردج: ثاني أقدم وأشهر الجامعات الانكليزية، ترجع نشأتها إلى عام ١٢٠٩ بعد هجرة عدد من طلاب جامعة أكسفورد إلى مدينة (كمبردج) Cambridge- التي تقع جنوب شرق انكلترا – وتم الاعتراف بها رسمياً من قبل الملك الانكليزي هنري الثالث (١٢١٦-١٢٧٢) في عام ١٢٢٩، وتشتهر جامعة كمبردج بمبانيها القديمة وتقاليدها العريقة. ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، الجامعات الأوربية في العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د.ت، ص١٢٧-١٢٨.

(٥٣) ول وايريل ديورانت، المصدر السابق ،ص٩٥.

قائمة المصادر

١-أشرف صالح محمد سيد، أصول التاريخ الأوربي الحديث، الكويت، ٢٠٠٩، ص٩١.

٢-سعيد عبد الفتاح عاشور، الجامعات الأوربية في العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.

٣-عبد العزيز الشناوي، أوربا في مطلع العصور الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧٧، جـ١.

٤- محمود عبد الواحد محمود القيسي ،النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند ١٦٠٠ -١٦٦٨ رسالة ماجستير(غير منشورة) ،كلية الاداب ،جامعة بغداد،،١٩٩٣

٥- ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: فؤاد أندراوس، بيروت، دار الجيل، د.ت، جـ٦، مجـ٦

1-A.L. Rows, Tudor Cornwall, 6th ed., Jonathan Cape, London, 1957

2-Conrad Russell, The Crisis of Parliaments, English History 1509-1660, Oxford University Press, Great Britain, 1971

-C.G.A. Clay, Economic Expansion and Social Change England (1500- 3

1700), Cambridge University Press, 1984.

4-D.A. Sturkeg, Revisions in the History of Tudor Government and Administration, Oxford, 1986, P.48.

5-George Warner, The New Ground Work of British History, Blackie and Son Limited, London, 1967.

6-George Burton Adames, Constitutional History of England, London, 1948, P.72.

7-F. W. Matland, The Constitutional History of England, Oxford, 1908, P.199.

F. Dietz, English Public Finance (1485-1558), London, 1920-8

-A.L. Rows, Tudor Cornwall, 6th ed., Jonathan Cape, London, 1957. 9

10-H. A. L. Fisher, The History of England from the Accession of Henry VII to the death of Henry VIII (1485-1547), New York, 1910.

11-J.D. Mackie, The Earlier Tudors 1485-1558, from The Oxford History of England, Edited by Sir George Clark, 6th ed., Clarendon Press, Great Britain, Vol.VII, N.D.-

12-Joachim Whaley, Germany and the Holy Roman Empire: Maximilian I to the Peace of Westphalia 1490-1648, Oxford, Oxford University Press, 2012.

13-J. Hans Hillerand, The Dictionary of National Biography, 4th ed., Oxford University Press, 1917.

14-R.B. Smith, Land and Politics in the England of Henry VII and Henry VIII, Oxford, Clarendon Press, 1970.

15-R.S. Schofield, Parliamentary Lay Taxation (1485-1547), Cambridge, 1963.

16-Robert P. Gwinn and Other, The New Encyclopedia Britannica, 15th Edition, London, 1985, Vol.5, Vol.9,Vol10

17-S.T. Bindoff, Tudor England, 9th ed., London, Queen Mary College, 1963

18-Simon Adams, England under the Tudors, Historical Journal, Cambridge, Vol.33, 1990.

19-Wilhem Busch, England Under the Tudors, King Henry Vll (1485-1547), London, 1895.